مجلة أبعاد
ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلد 09، العدد 01 (خ)، 2022

جدلية العلاقة بين الفلسفة والعلم:
قراءة اركيولوجية لمحطات ابستمولوجية معاصرة

The dialectic of the relationship between an philosophy and science : an archaeological reading of contemporary epistemological stations

معراجي مليكة Maaradji Malika* maaradji.malika@gmail.com	فلسفة	جامعة وهران 2 - الجزائر
الزاوي عمر Zaoui Omar zaouimar@gmail.com	فلسفة	جامعة وهران 2 - الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2021/10/16 | تاريخ القبول: 2021/10/31 | تاريخ النشر: 2022/05/05

ملخص: تأتي هذه القراءة بمنهج تحليلي نقدي، كمحاولة لرصد أهم المبادئ التي يشتغل وفقها العقل في حقل الدراسات الابستمولوجية المعاصرة إلى الكشف عن الأسباب التي أدت إلى ظهور المفاهيم جديدة تفرض ذاتها على الواقع كالبيوتيقا كما تهدف قراءتنا إلى إعادة طرح ابستمي لقضايا لطالما كانت محل جدال فلاسفة العلوم طرحا يتناسب والمتغيرات الراهنة، إذ تتبعنا هذا المسار الابستيمولوجي بهدف التأسيس لمنظومة ابستيمية متكاملة واسقاطها على واقع تطغى عليه نظرية البقاء للاقوى وليس للاصلح.

الكلمات المفتاحية : ابستمولوجيا؛ علم؛ نظرية؛ بيوتيقا؛ ميتودولوجيا،

Abstract :

This critical analytical reading comes as an attempt to monitor the most important principles according to which the mind operates in the field of contemporary epistemological studies, to reveal the reasons that led to the emergence of new concepts that impose themselves on reality, such as biotics. Our study aims to reestablish issues which were a controvercy of the philosophores of sciences, that suits the current changes as we follow this epistemological path with the aim of establishing an integrated epistemic system and projecting it onto a reality dominated by the theory of survival for the most powerful and not for the fitt

Keywords: epistemology; science; theory; bioetics; methodology

* المؤلف المرسل: maaradji.malika@gmail.com

1. مقدمة:

ماذا نستطيع أن نعرف؟ هكذا تساءل كانط، وهو سؤال تناولته كل الأبحاث العلمية على غرار الفلسفة، فالفلاسفة عندما يتساءلون عن المعرفة، فهم على الأرجح يعنون أصل المعرفة وماهيتها، وحدودها ودرجة اليقين فيها، وغالبا ما يتم التمييز في عملية إنتاج المعرفة بين ثلاثة عناصر رئيسية: الذات العارفة، موضوع المعرفة، ومنهج المعرفة، فمعظم الإشكالات التي يتم إثارتها في مجال المعرفة تتعلق بالتفاعلات الحاصلة بين هذه العناصر الثلاث، ويقتضي كل علم وجود بنية وظيفية لمختلف الأنساق المعرفية على أساس أن العلم لا ينمو إلا في إطار خاص ومناخ عقلي فكري مناسب، وهذا الإطار الفلسفي هو الذي يشكل مرجعية للعلم في أول الطريق ليتحول مع الوقت إلى ايديولوجيا، الأمر الذي يستوجب وجود دراسة تحليلية نقدية لمبادئ هذه العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد أصلها المنطقي وبهذا المعنى فكل معرفة تحتاج إلى دراسة ابستمولوجية كانت خطابا فلسفيا **حول** العلم لكن بعد انفصال العلوم عن الفلسفة أصبحت خطابا **علميا** حول العلم. ومن هنا نتساءل : ماهي الآفاق التي فتحتها الدراسات الابستمولوجية المعاصرة أمام البشرية في ظل التطورات العلمية الراهنة ؟ وكيف يمكن التأسيس لمنضومة ابستيمية متكاملة واسقاطها على واقعنا الراهن وفي مجتمع تطغى علية نظرية البقاء للاقوى وليس للاصلح؟

2. الإبستمولوجيا : الماهية والمفهوم

يعرفها لالاند:" هي فلسفة العلوم لكن بمعنى أكثر دقة، فلا تخص فقط دراسة المناهج العلمية التي هي موضوع الميتودولوجيا والتي تعد جزء من المنطق، كما أنها ليست تركيبا أو توقعا حدسيا للقوانين العلمية على الطريقة الوضعية أو التطورية، إنها في جوهرها الدراسة النقدية لمبادئ وفرضيات ونتائج مختلف العلوم، الهادفة إلى تحديد أصلها المنطقي لا النفسي وقيمتها ومدى موضوعيتها (La lande, 1986,p293)تنحصر مهمتها في البحث عن المبادئ والأسس التي تقوم عليها مختلف العلوم، وفحص الفرضيات التي تضعها لاستخلاص نتائجها، فهي بهذا المعنى دراسة نقدية للمعرفة العلمية، وتختلف عن الميثودولوجيا كونها تدرس المناهج، والتي يعتبرها لالاند جزء من المنطق، لذلك وجد التقسيم التقليدي للمنطق وصنّفه إلى منطق صوري، يهتم الإطار الكلي للعقل ومنطق استقرائي يهتم

بالمادة، يدرس المناهج المستخدمة في مختلف العلوم دراسة وصفية، لا نقدية، فالابستمولوجيا دراسة نقدية والميثودولوجيا دراسة وصفية لكن هذا لا يعني أنهما منفصلان على اعتبار ان الدراسة النقدية للمناهج العلمية على سبيل المثال لا تستغني عن معرفة صيغة هذه المناهج، وهذا ما يوضحه ر **بلانشي** "إن الابستمولوجي لا يمكن أن يستغني في دراسته النقدية عن دراسة مناهج العلوم لأنه بحاجة إلى معرفة صيغة مناهج العلوم التي يدرسها" (Blanché , 1972, p. 22)، وعلى هذا الأساس فإن مهمة الميتودولوجي تتمثل في الدراسة الوصفية التحليلية ووصف جميع المراحل التي مرت بها عملية الكشف العلمي وتحليلها وصياغتها صياغة نظرية منطقية. لإظهار طبيعة العلاقة الموجودة بين الفكر والواقع وهذا ما يؤكده كلود برنارد قائلا: "إن مناهج وطرق البحث العلمي لا تتعلم إلا في المختبرات حيث يكون العالم أمام مشاكل الطبيعة وجها لوجه (الجابري، 1982، صفحة 2)

أما بالنسبة للابستمولوجيا فمهمتها نقدية، تهدف إلى تحليل العلم والكشف عن الفلسفة المتضمنة فيه، من خلال متابعة لمساره بغية التعرف على ثغراته المتعلقة بالمناهج، بالمبادئ، بالفرضيات أو بالنتائج مع محاولة معالجتها، وكلمة فلسفة تحيلنا للتطرق إلى علاقة الابستمولوجيا بفلسفة العلوم كما وضحها أ.كونت حينما دعا العلماء إلى الاكتفاء بملاحظة العلاقات الظاهرة التي تربط بين الظواهر ووصفها للحصول على تفسير لها يمكّن من التخصص في العلوم، مما يفرض على الفيلسوف الوضعي أن يقوم بمهمة الربط بين مختلف التخصصات العلمية الجزئية "لتقم طبقة جديدة من العلماء (الفلاسفة) المكونين تكوينا ملائما" (مووي، 1973،، صفحة 48). ويشترط كونت في هذا التكوين معرفة عامة حول مختلف العلوم تمكن من تحديد روح هذه العلوم والكشف عن العلاقات التي تربط فيما بينها، وذلك من خلال معرفة المبادئ العامة المشتركة بين العلوم الجزئية، شريطة عدم الخروج عن المنهج الوضعي لذلك ففلسفة العلوم هي عملية تركيبية تضم مختلف العلوم قاسمها المشترك هو المنهج الوضعي التجريبي. يبدو من خلال تعريف لالاند مدى ارتباط الابستمولوجيا بفلسفة العلوم فعلاقتهما كعلاقة نوع بجنس، هذا النوع تنحصر مهمته في الدراسة النقدية لمكونات العلوم للوصول إلى أصولها

المنطقية كما يبين ارتباط الابستمولوجيا بالميتودولوجيا ويدعو إلى ضرورة التمييز بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة .

إن الإشكال الإبستمولوجي حول نظرية المعرفة يتطور من مرحلة تاريخية إلى أخرى لذلك أسهمت الفلسفة التجريبية في فصل دائرة الإيمان عن دائرة المعرفة. وهذا ما أشار اليه م.فوكو في كتابه الكلمات والاشياء عندما نحت العديد من المفاهيم المتصلة بنظرية المعرفة كمفهوم أركيلوجيا المعرفة وفيه يشير إلى أن المعرفة أشبه بالطبقات الأركيلوجية، كل طبقة مستقلة الأخرى. فلكل فلسفة بنيتها المعرفية، تشكل قطيعة ابستيمولوجية مع البنى المعرفية الأخرى لكن العقل يبقى دائما هو همزة الوصل بين كل حقب المعرفة. في حين نجد ان "موي" يعرف الابستمولوجيا بأنها "النقد العلمي للمعرفة" (مووي، 1973 صفحة 49) تتمثل وظيفتها في دراسة المنهج العام للعلوم و" العمليات التي يطبقها العقل البشري على العلم" (مووي، 1973، صفحة 49) على أساس أن النقد العلمي ما هو إلا مجرد مرحلة من مراحل التحليل الواعي للمعرفة العلمية التي يكملها تاريخ العلوم، تتطلب من الباحث القيام بثلاث مهام كمؤرخ، كفيلسوف وكعالم، حتى يكتشف الكيفية التي يعد بها العقل مناهجه عند مواجهة الواقع، يقول بول موي:"إن تاريخ العلوم هو في نظر الفيلسوف عرض للعلم في حالة نشأته" (مووي، 1973، صفحة 49)

3. محطات ابستمولوجية :

أ- الاستقراء وتبريره مشكلة ابستمولوجية عالقة :

ترتبط نشأة فلسفة العلم بتبرير المعرفة العلمية والذي يكمن في الانتقال من الملاحظة إلى تعميم النظرية وخاصة وان الاستقراء يقوم على الانتقال من الجزء إلى الكل وهو استقراء ناقص فمشكلة الاستقراء تكمن في تبرير القانون العلمي، **فما الذي يبرر الانتقال من حوادث جزئية إلى تعميم النتائج المتحصل عليها على كل الحوادث المشابهة لها ؟** "وهذا التساؤل ليس إثارة لكشف جديد فأرسطو لاحظ الفارق بين الحجة الصورية المنطقية والحجة الاستقرائية التجريبية وأن الأخيرة ليست مبرهنة" طريف الخولي، 2000، صفحة 148)، إن الاستقراء يقوم على أساس الحتمية والعلية والاطراد، والسببية بالذات هي اطراد التعاقب في الطبيعة وهي الوجه الآخر للحتمية التي افترض العلماء أنها تحكم عالم الظواهر، وبفضل الحتمية الكونية تغدو العلية شاملة لا تعرف

استثناء وكما حكمت الوقائع الماثلة سوف تحكم كل الوقائع المماثلة فيمكن تعميم، على أساس أن الماضي على صورة الحاضر والحاضر على صورة المستقبل هكذا سلم فلاسفة العلم بقانون العلية كمبدأ للاستقراء فعلى أساسه يمارس التجريب وتعمم النتائج، لذلك اختلف الفلاسفة حول إشكالية تبرير الاستقراء، حيث شكك البعض في مشروعيته وعلى رأسهم هيوم حيث رأى ان الانتقال من الجزء إلى الكل غير مبررا لا من الجهة الواقعية ولا منطقيا، فمن الناحية المنطقية نجد اننا نحكم على المستقبل بحكم الماضي معتقدين في ذلك بتماثل المستقبل مع الماضي لكن هذا لا تبرره أي ضرورة منطقي لهذا القوانين العلمية تفيد الاحتمال والترجيح يقول راسل :" لقد أثبت هيوم أن التجريبية الخالصة لا تشكل أساسا كافيا للعلم فيحين أننا إذا سلمنا بتلك القاعدة الوحيدة أي الاستقراء، كل شيء بعد ذلك يتلاءم مع النظرية القائلة إن كل معرفتنا قائمة على الخبرة...وأنه بغير هذه القاعدة يصبح العلم مستحيلا " (Russell B. , 1954, p. 699)انها مشكلة الاستقراء التي حيرت الفلاسفة منذ هيوم "وعدت واحدة من أعقد المشاكل الفلسفية وأكثرها إثارة للمناقشة والجدل "(Russell 1973, p. 360) إن مشكلة الاستقراء ترتكز في جوهرها على مشكلة العلية. لقد كان هيوم من أولئك التجريبيون ذوي النزعة النفسية التي ترفض استقلال المنطق عن الحياة والنفس وتحاول رد الحقائق وكل شيء إلى الحياة النفسية ومكوناتها. نجد أن أصحاب النزعة الاستقرائية لا ينكرون أن هيوم أثبت استحالة وضع تبرير حاسم للاستقراء "وراح بعضهم يزعم أن الاستقراء ليس في حاجة إلى تبرير لأن المنهج ذاته لا يُبَرَّر فقط يمكن تطويره وتحسينه " (طريف الخولي، 2000، صفحة 155) وبظهور مفهوم اللاحتمية في القرن العشرين، حيث أصبح الاحتمال هو منطق العلم فساد الاعتقاد انه "مادامت جميع القوانين العلمية احتمالية فلا بأس في أن يكون أساس الاحتمال ليس ثابتا وببساطة نلاحظ أنهم لم يفعلوا شيئا أكثر من سحب السمة اللاعقلانية من القوانين اليقينية ... " (طريف الخولي، 2000، صفحة 159)

ب- الملاحظة أم الفرض، أيهما أسبق؟ تطلعات في القرن العشرين :

تعتبر مشكلة تبرير الاستقراء من اهم المشاكل الابستمولوجية التي تواجه الفلسفة لأنها تعبر عن مشكلة العلاقة بين التجريب والتنظير، وبلغة فلسفة العلم الملاحظة والفرض "إن بينهما انفصالا وتمايزا لا يمكن تجاهله، وتأييد أحدهما للآخر مسألة لا تخلو من

الغموض، حتى أن العلاقة بينهما ملتبسة أمامنا" (طريف الخولي، 2000، صفحة 157) الأمر الذي يجعلها دائما من المحاور الأساسية لفلسفة العلم. والسؤال الذي يطرح نفسه والذي سيحدث انقلابا جذريا في معادلة الاستقراء هو :أيهما أسبق الملاحظة أم الفرض؟ فلو كان الملاحظة هي الأسبق والفرض يتبعها فإن العلم تعميم آلي للوقائع ودور العقل الإنساني تابع للحواس يخدم الملاحظة ليستنتج قوانين مستقرأة من الواقع فتكون عندئذ قوانين يقينية ويصبح العلم نسق ثابتا، أما إذا كان الفرض هو الأسبق فإن العقل الإنساني هو المبدع لا يخدم الملاحظة بل يستخدمها لتقنين الفروض ثم قبولها أو رفضها وتظل إبداعا عقليا، وبهذا تقوم فلسفة العلم على نظريتين في المنهج التجريبي، الأولى تعتمد الملاحظة قبل الفرض والثانية تعتمد الفرض أولا.

أولا: نظرية البدء بالملاحظة التي يثير المشكلة الشهيرة التي هي نظرية منهجية تواكب العلم الحديث حتى نهاية القرن التاسع عشر، العلم الكلاسيكي الذي تميزه فيزياء نيوتن الذي يقول: "أنا لا أفترض الفروض " (طريف الخولي، 2000، صفحة 158)

ثانيا: نظرية البدء بالفرض والنزول منه إلى وقائع التجريب وهذا ما ذهب اليه برنار، ووليم هيوول في حين نجد أنها نظرية منهجية تفرضها طبيعة العلم لذلك نجد ان فلسفة العلم الحديث مرحلة سابقة ومتمايزة عن نظيرتها في القرن العشرين.

فالعلم يعتمد الفروض أولا، ويعتبر أينشتاين رائدا لهذا المنهج فقد رأى أن منهج البحث يتلخص في أن يتخذ الباحث لنفسه مسلمات عامة يستنبط منها النتائج فينقسم عمله إلى مرحلتين : الأولى أن يهتدي إلى المبادئ التي يستند إليها، ثم استنباط النتائج التي تترتب عليها . يؤكد على" أن الوقائع التجريبية بمفردها تظل عديمة النفع للباحث ما لم يهتد إلى قاعدة لاستنباطاته" (آينتشتاين، 1982، صفحة 5) وتسمى هذه النظرية بالمنهج الفرضي الاستنباطي .الذي يلجأ اليه الباحث كي يستنبط منطقيا ورياضيا النتائج الجزئية التي تلزم عنه، فيأتي التجريب ودور الملاحظة فيقارن بين النتائج المستنبطة من الفرض وبين وقائع التجريب إن اتفقت معها سلم تسليما مؤقتا بالفرض، والا يكون تعديله أو الاستغناء عنه، أهم ما يميز هذا المنهج أنه يرتكز ا على الاستدلال الرياضي الذي أساسه المنطق الرمزي فلم تعد الفروض العلمية تحكم وقائع بقدر ما تحكم قوانين وعلاقاتها ببعضها، ولا يصبح الاستقراء كمرادف للمنهج التجريبي بل يعني منهج البدء بالملاحظة هو حالة خاصة للمنهج التجريبي، وبهذا فمنهج العلم التجريبي الفعلي هو المنهج الفرضي

الاستنباطي، والاستقراء الذي يعتمد الملاحظة قبل الفرضية مرهون بفلسفة العلم التي سادت في القرن التاسع عشر والتي ارتبطت بالتفسير الميكانيكي للكون وبمبدئه الحتمي قال راسل : "لم يكن الصراع بين غاليليو ومحاكم التفتيش صراع ابين الفكر الحر والتعصب أو بين العلم والدين، بل كان صراعا بين الاستنباط والاستقراء" (طريف الخولي، 2000، صفحة 160)فالمشكلة تكمن فيما يبدأ به العالم وليس الملاحظة الخالصة كما يدعي الاستقرائيون لان العالم يحتاج مسبقا إلى نظرية يلاحظ على أساسها . فهو يبدأ من الحصيلة المعرفية السابقة لتحدد له موقف المشكلة وتعينه على فهمها ليوظف نشاطه العقلي الإبداعي حتى يتوصل إلى الفرض الذي يستطيع من خلاله حلها عندها فقط "يلجأإلى الملاحظة ليختبر فرضه تجريبيا عن طريق النتائج االمستنبط" (طريف الخولي، 2000، صفحة 165) تلك هي الصورة العامة لمسار البحث التجريبي يقول ستيفن هوكنغ:" لم أسمع عن أي نظرية كبرى قد طرحت على أساس من التجربة فحسب، فالنظرية هي التي تأتي دائما أولا وتُطرح بسبب الرغبة في الحصول على نموذج رياضي رائع ومتسق .ثم تعطي النظرية تنبؤات وهذهاكن اختبارها بالملاحظة وإذا اتفقت الملاحظات مع التنبؤات فإن هذا لا يبرهن على النظرية وإنما تظل النظرية باقية لتصنع تنبؤات جديدة وتُختبر مرة أخرى بالملاحظة .وإذا لم تتفق ا لملاحظات مع التنبؤات نتخلى عن النظرية" (هوكنج، 1995، صفحة 67) يتضح من ذلك التأكيد على اسبقية الفرض العلمي، فالملاحظة لا تفضي ابدا إلى الفرض لأن الفرض قراءة للوقائع التجريبية بواسطة ابداع عقلي كما يعتبر تلخيصا لنظرية بوبر، وهذا ما اثبتته ثورة الكوانتوم والنسبية فيزياء القرن العشرين الميكروفيزياء. وبذلك اصبح العلم نشاطا عقليا يعبر عن عبقرية العقل الإنساني فوضع الفرض قبل الملاحظة تعد بمثابة ثورة منهجية أدت إلى تغير منظومة المنهج وطبيعة المعرفة العلمية وحُلت إشكاليات إبستمولوجية.

4. تيارات ابستمولوجية معاصرة رائدة :

إبداعات رايشنباخ الابستمية:

شهدت الفيزياء الكلاسيكية تطورات بعد وفاة كانط- كنظرية ماكسويل الكهرومغناطيسية ولكنها كانت أشبه ما تكون مكملة للنظام النيوتوني، أكثر منها إنجازات ثورية تتطلب تغييرات مفاهيمية وفلسفية عميقة، اذ لم تظهر العلامات الأولى لانهيار للفيزياء الكلاسيكية إلا عام 1905؛ على الرغم من أن نظرية "بلانك" الكوانتية

وتجربة "ميكلسون-مورلي" تمت في وقت سابق، ويعتبرهانز رايشنباخ، د أهم فلاسفة القرن العشرين تأثر بالتقاليد الفلسفية الكانطية وبالتطور الذي حصل في مجالي الفيزياء والرياضيات، حيث كان رائدا في ايجاد طرق جديدة لحل المشاكل القديمة كالسببية، والاحتمال، التحليل الفلسفي وتفسير الفيزياء الكلاسيكية، والنسبية، وإعادة النظر في اراء المفكرين الميتافيزيقيين السابقين، من أفلاطون إلى كانط و"استخلاص نظرية المعرفة المرتبطة بالتحولات العلمية الجديدة والاستفادة منها في فهم المشكلات الفلسفية وحلها. ومن الأمثلة على ذلك ما أثارته النظرية النسبية والكوانتية وما فتحت من آفاق في المعرفة. ... " (ياسين، 2012، صفحة 22).تبدأ رحلة هانز رايشنباخ الفلسفية من خلال انتقاله من الإيمان بفكر كانط إلى نقده إلى حد القطيعة وهو ما يؤسس فيما بعد لفلسفة جديد في العلوم ترفض المعرفة التركيبة القبلية الكانطية والتي كان الهدف منها هو برهنة إمكانية العلم من الناحية المنطقية وتجاوز تجريبية هيوم المتطرفة. إن الدافع الأساسي في مسيرة رايشينباخ الفلسفية، ينحصر حول محاولة حل هذه المشكلة، فكرس معظم أعماله في إعادة بناء العلم دون اللجوء إلى القبلي التركيبي بأي شكل من الأشكال، كما اهتم بالمشكلة التي أثارها هيوم بخصوص المعرفة الاستقرائية وتوصل إلى نتيجة مفادها ان "اعتماد المنطق الاحتمالي كمفتاح لحل مشكلة الاستقراء والتنبؤ،(...)،فإذا اتضح خطأ التنبؤ كان علينا الاستعداد لمحاولة أخرى. فالحكم التنبؤي احتمالين فبدلا من أن نعرف حقيقته، نعرف نسبة احتماله فقط وبهذا نفهم المعرفة التجريبية وحل مشكلة الاستقراء" (علي عبد المعطي محمد، 1988،، صفحة 528) تعتبر محاولة رائدة تتمثل في تقديم حل جديد لقضية قديمة كادت أن تعصف بأسس المعرفة العلمية. تبرز مساهمته في حل مشكلة المعرفة التركيبية القبلية التي قال بها كانط، وتجاوزها وما نتج عن ذلك من تصورات علمية جديدة منها منطق ثلاثي القيمة ونظرية الاحتمال في المعنى، ومبدأ التحقق الاحتمالي، ومفهومي المكان والزمان وقضايا عديدة أخرى أثيرت مع رايشنباخ وتواصل البحث فيها بعده وكان لها الأثر القوي في إشعال الفلسفة في القرن العشرين .

5. مقاربة ابستيمة في البيولوجيا من خلال البيوتيقا:

دعا **كانط** إلى فصل العلم عن الأخلاق من خلال نظريته في الأوامر المطلقة كأساس للأخلاق وأراد تخليص الأخلاق من قيود المسيحية "إذ جعل الأخلاق أساسا للدين بدلا

من أن يكون هو أساسا لها" (طريف الخولي، 2000، صفحة 39)، غير أن التطورالتكنولوجي، خاصة الذي عرفته البيولوجيا أثار تساؤلات فلسفية حول القيمة الأخلاقية للتقنيات الطبية، مما دفعهم إلى وضع أخلاق عملية تقترب من الواقع وتعمل على حل المشكلات التي تواجه المجتمع من جرّاء هذا التطور، وذلك بإخضاع العلوم ومنتجاتها للقيم والمعايير الأخلاقية، فلم تعد الأخلاق مرادفة للعادات والأعراف البشرية بل المقصود بها "الخير والشر وما ينتج عنهما من قيم تشكل الضمير الخلقي الفردي أو الجمعي" (الجابري، 1982، صفحة 37)، وهنا يتجلى الارتباط الوثيق بين الأخلاق والفلسفة وليس هذا بالجديد ففي مرحلة ما كانتا مترادفتان. فالفيلسوف هو الحكيم والحكمة قيمة أخلاقية، وفي هذا الصدد يرى **داغوني** أن الفلسفة أصبحت أكثر أهمية من ذي قبل إذ أوكلت لهما مهمة خاصة تمثلت في الاهتمام بالمستقبل والاهتمام بما تعده العلوم وتنتجه خاصة البيولوجيا التي أصبحت مصدر قلق الإنسان المعاصر. فمهمة الفلسفة تتمثل في إنتاج نوع من التفكير حول البيولوجيا ما يعرف Une Bioréflexion أو فرض نوع من النفوذ Un Biopouvoir الذي يحدد ما هو مسموح، لما كان للطب والبيولوجيا من تأثير على الحياة البشرية من ناحية وما ينتجه من مفاهيم حول الإنسان ومصيره، ومن أبرز هذه المفاهيم **البيوتيقا**. "إن الفلسفة تأثيرها واضح على الحياة الواقعية وهي تمثل بشكل عام علما تطبيقيا على كثير من النواحي العلمية الأخرى والأخلاقية والدينية ولكن هذا التأثير يعود إلى الحياة منذ القدم" (عوض، 2011، صفحة 90) وبهذا فإن المفهوم المتفق عليه اليوم لطبيعة الكائنات الحية هو سيادة قوانين الفيزياء والكيمياء على جميع وظائفها التي تتم على على معظم وظائفها التي تتم على مستوى الخلايا بذلك فالكائنات المتعضية تتميز عن المادة الجامدة كونها أنظمة رئاسية ذات كيان له كثير من الصفات الانبثاقية، والأهم من ذلك هو أن كل أنشطتها تتم تنفيذا لبرامج جينية في طياتها معلومات مكتبسة تراكمت عبر التاريخ وكلا الأمرين لا وجود له في عالم الجمادات"، (ماير، 2002، صفحة 38) وبذلك تحولت الحياة إلى قراءة بيولوجية خالصة رغم كل المفارقات التي تعرضت لها علوم الأحياء في المشروع الابستمولوجي، تبقى الحياة حراك بين التنوع والتغيير جعل البيولوجيون يعتقدون أن موضوع علم الأحياء فرضية لمعرفة طبيعة الإنسان ومدى امكانياته وقدراته في تفسير الحياة والتحكم في مبادئها وغاياتها "... من غير المحتمل أننا

سنكون قادرين على خلق الحياة أو تخليقها صناعيا، ولكن من المحتمل، بل المرجح، ومن خلال سنوات أننا سنكون قادرين على إجراء عدد كبير جدا من وظائف الحياة بوسائل صناعية بحتة وفي المعمل" (دبرنال،1982، صفحة 162)، الأمر الذي شجع العلماء على الاهتمام بتحسين ظروف الحياة وبذلك أصبحت التجارب على البشر "... جزءا لا يتجزأ من الممارسة الطبية والبيولوجية، ورغم ذلك فإن أخلاقيات الطب تنظر إليها بعين الشك والحذر، وتطالب بالحد منها ووضع قواعد أخلاقية ومبادئ قانونية لا يجب أن تتجاوزها" (بوفتاس، 2011، صفحة 130)، فالعلم ليس بريئا من تلك الخروقات التي يمارسها الباحثون في مخابرهم تحت شعار العلم والتقدم، والمساهمة في حل أزمات الإنسان وإنقاذ البشرية وتخليص الإنسان من المرض والألم والارتقاء به إلى عالم مثالي بلا وجع ولا مرض ولا خوف. ويبقى هذا السؤال خالدا "**ما الحياة**"؟ تتناوله كل الأبحاث العلمية على غرار الفلسفة "... فإن البيولوجين والفلاسفة عندما يتكلمون عن "**الحياة**" فإنما هم ...الأرجح يعنون خاصية الحياة التي هي تفيض انعدام الحياة أي الجماد" (بوفتاس، 2011، صفحة 130)وبما أن الحياة مستمرة تتخللها دائما أوبئة وأمراض وآلام فكان العلم يهدف دائما إلى التخفيف من الأخطار وتمكين الإنسان من أن يعيش حياة أفضل بأقل أخطار ممكنة "... فلقد كانت غاية التقدم التكنولوجي في الطب هي تخفيف آلام البشر، ولهذا لم يتعرض ...محاذير أخلاقية إلا عندما لامس المنطقة المحضورة، وهي العمل على الأجنة البشرية" (حسونة، 2013، صفحة 02) فتبينت مخاطر التجريب وولدت الأزمة التي تربط العلم بالحياة مما يتطلب تدخل الأخلاق المراقبة للتجاوزات ومحاولة انتهاك حرمة الإنسانية وقداسة الحياة، وأصبح علم الحياة يثير عدة تساؤلات ولعل أهمها **متى تتصبح للحياة قيمة أخلاقية؟** فالحياة لا تعني البيولوجيا فقط ولا تقف عند الحاجات البيولوجيا ومتطلبات الجسد بل تعني كل **((انطولوجيا))** تمكن الإنسان من بلوغ جانبه الروحي القيمي الذي يشعره بآناها المستقلة والمتميزة مما يوجب وظهور مفهوم البيوتيقا، التي تعني "علم البقاء والاستمرار على قيد الحياة، هو علم يرمي إلى إقامة تحالف من علوم الحياة (Bio) والقيم الإنسانية والقواعد الأخلاقية Ethics" (بوفتاس، 2011، صفحة 13)أصبح ربط الحياة والبيولوجيا بالأخلاق أمرا ضروريا يمليه واقع الأبحاث العلمية يقول **د/زوي**: "البيوتيقا هي البحث عن جملة المطالب لاحترام الإنسانية والشخص وتقدمهما في

القطاع الحيوي الطبي" (روس، 2001، صفحة 110)بقدر ما أسعد العلم الإنسان، بقدر ما فتح أمامه متاهات تثير مخاوفه وهنا تأتي الفلسفة التي تدعو إلى يقظة معرفية جديدة ذات جينالوجيا إتيقية وضوابط إبستيمية كفيلة كإعادة الإنسان إلى الحياة التي أضاعها بين المخابر ومستجداتها والآلات وزحمتها "على أثر تطور البحث والتجريب في مجال الطب والبيولوجيا وتبلور تكنولوجيا الحياة، أي اعتماد تقنيات جدّ متطورة في بعض التدخلات والتطبيقات الطبية والبيولوجية، إلى جانب ما تطرحه من معضلات أخلاقية غير مسبوقة ظهر مصطلح جديد، يعبر عن تخصص معرفي جديد بتعبير أكثر دقة، مبحث فلسفي وأخلاقي جديد ثم التعبير عنه ..." Bioéthics" (بوفتاس، 2011، صفحة 13) قد يحيلنا جدل الحياة والأخلاق إلى وجود وحضور منطق الفلسفة والعلم، وهذه الثنائيات تؤلف بين البيوتيقا والأبستمولوجيا على أن أساس الإنسان تركيبة وفسيفساء من حياة وجمال ومعرفة وتواصل وتأمل، وهذا ما يفسر اختلاف مصادر الباحثين ومناهجهم في تناول المواضيع، "... فالعلماء ينظرون نظرة شك إلى تأملات الفلاسفة التي كثيرا ما بدت لهم وقد أعوزتها الدقة في الصياغة كما أنها تدور حول قضايا عديمة الجدوى لا حل لها، أما الفلاسفة فلم يعودوا بدورهم مهتمين بالعلوم الخاصة لأنها نتائجها كانت تبدو محدودة، ولقد كان هذا التباعد لكل من الفلاسفة والعلماء" (فليب، د.س، صفحة 07)، وعليه فالبيوتيقا هي مقاربة فلسفية قبل أن تكون رؤية علمية تهدف إلى إعادة ربط الصلة بين الحياة والأخلاق وإعطاء للحياة لغتها في التواصل مع العلم، " فقيمة الحياة عند الإنسان من قيمة العقل والتفكير والوعي واللغة التي تكون ذاته وتميزه عن باقي المخلوقات" (عوض، الأصول الفلسفية لأخلاقيات الطب، 2011، صفحة 90) ولكن السؤال الذي يطرح نفسه **لماذا تأخرت الفلسفة في** التدخل في المجال العلمي باسم الاتيقا حتى سمحت له في التورط أكثر فأكثر في الحياة والتدخل في أصول الطبيعة ؟

خاتمة:

توصلنا في هذه الورقة البحثية إلى جملة من النتائج منها :

- أن معرفة الإنسان قد تكون معرفة عامية، علمية منهجية تتعلق بظواهر مختلفة ومعرفة فلسفية تجمع شتات العلوم"في وحدة تركيبية يسودها الاتساق والانسجام"(الجابري،1982،صفحة57) إنها المهمة الحقيقية للفلسفة في علاقتها

بالعلوم غايتها تتمثل في دراسة تاريخ المعرفة الإنسانية للاستفادة منها في التنبؤ بالمستقبل، وبما أن الفلسفة تتفرع إلى : محاور كبرى تتمثل في الابستمولوجيا، الانطولوجيا والاكسيولوجيا Ethics وتعني فلسفة الأخلاق التي تنطوي تحت الأكسيولوجيا، كانت منفصلة عن الابستمولوجيا، التي كان هو سؤالها الاساس حول نجاح العلم الحديث وحيثيات هذا النجاح ومبرراته والإجابة كانت في المنهجية والمنطقية وهذا يعطي تفسيرا للعلم على أنه ظاهرة مستقلة محكومة بأدوات إبستمولوجيا كالملاحظة والتجربة والتنبؤ والتفسير، وظلت على هذا الحال حتى الربع الأخير من القرن العشرين لا تتجاوز الإطار الابستمولوجي لنسق العلوم لحين أدركت أن العلم ليس نسقا واحدا مستقلا بل هو ظاهرة اجتماعية تتغير عبر التاريخ تتدخل فيها عوامل ثقافية لأن العلم لا يمكنه الانفصال عن أيديولوجيا معينة ولا يستغني عن منظومة قيمة تنطوي تحت فلسفة القيم لأنه في ظل الثورة العلمية أصبح التفوق الحضاري لا يقاس بالمعايير التقليدية بل بمعادلة جديدة للتطور تعتمد في أساليبها على أخلاقيات وطبيعة الإنسان ومدى تقدمه وقدرته على استيعاب واستخدام مفاهيم الثورة التكنولوجية، ومدى التعامل مع هذه والأخلاقيات التي تعد أهم عامل في التنمية لدرجة أنها تعتبر بمثابة الحد الفاصل بين التقدم والتخلف. ونظرا للتقدم التكنولوجي الذي ينطلق بسرعة فائقة فأصبح من الضروري دراسة جوانبه الأخلاقية بسرعة مماثلة وإلا حدثت فجوة عميقة في التطورات العلمية والتطورات الأخلاقية التي تضبطها وتحكمها.

قائمة المراجع :

1. جاكلين روس. (2001،). الفكر الأخلاقي في المعاصر ، ترعاد العوا،. بيروت لبنان،: عويدلت, للنشر والطباعة ط1،
2. دبرنال،. (1982). موجز العلم في التاريخ،، . بيروت لبنان: اعداد: سعد الفبشاوي دار الفارابي، ط1.
3. يمنى طريف الخولي . (200،). فلسفة القرن العشرين. سلسلة عالم المعرف.
4. ارنست ماير. (2002). هذا هو علم البيولوجيا. الكويت: سلسلة عالم المعرفة ترجمة عفيفي محمد عفيفي.
5. البرت آينتشتاين. (1982). أفكار وآراء. القاهر:، ترجمة د. رمسيس شحاتة، الهيئة ا المصرية العامة للكتابة.
6. السيد نفادي علي عبد المعطي محمد. (1988،). أسس المنطق الرياضي. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر..
7. بول مووي. (1973،)،. المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة فؤاد زكريا،، مصر: دار نهضة.
8. خليل ياسين. (2012). مقدمة في الفلسفة المعاصرة. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع،ط2.
9. ستيفن هوكنج. (1995). الثقوب السوداء. أبو ظبي: ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي، منشورات المجمع الثقافي
10. ، عادل عوض . (2011). لأصول الفلسفية لأخلاقيات الطب. الاسكندرية: دار الجامعة الجديدة الأسكندرية مصر.
11. عمر بو فتاس . (2011). البيوطيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا". الدار البيضاءلمغرب،: افريقيا الشرق،، ا دط،..

12. فرانك فليب. (د.س). لسفة العلم "الصلة بين العلم والفلسفة" تر: على ناصف،. بيروت لبنان،: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،.
13. محمد حسونة . (مارس 2013). استنساخ البشر في 2060 مجلة العربي العلمي العدد 15،. دولة الكويت،: وزارة الاعلام..
14. محمد عابد الجابري. (1982). مدخل إلى فلسفة العلوم، الجزء الأول، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة،. بيروت،: دار الطليعة.
15. Bertrand Russell . .(1973) .Problems of philosophy 1912 , Oxford
16. La lande André .(1986) .vocabulaire technique et critique de la philosophie .paris: 2eme édition; P.U.F.
17. Robert,, Blanché , .(1972) . l'épistémologie .paris: 1ere edition P.U.F.
18. Russell, B. (1954). History of Western Philosophy, Brothers, Working. London.